النشأة التاريخية للقراءات القرآنية

إعداد

الطالبة/ زينب فاجم سيد محمد

باحث دكتوراه كلية الآداب – جامعة أسوان

مقدمة:

يتناول هذا البحث القاء الضوء علي تاريخ القراءات القرآنية بصفة عامة، منذ نزول القرآن الكريم، ومرورًا بدور القبائل العربية في بروز القراءات القرآنية، مع عرض موجز لأداء القراء بعد التوسع في الفتوحات الإسلامية، ودور كبار الصحابة في حتم الخلاف بين المسلمين، وبذلك يكون وضع أساسًا قويمًا لقبول القراءات وردها، ولم يكن الصحابة يعمدون إلي تفضيل قراءة علي أخري، إلا ما كان في بيان وجوه اللغة والنحو والإفادة منها، ثم نتطرق بعد ذلك إلي رسم المصحف، وهل يعد سببًا لاختلاف القراءة؟.

بالإضافة إلي عرض لبداية تشذيذ القراءات القرآنية، وماذا نعني بالشذوذ فيما فوق القراءات العشر، إلي أن نصل لاستنتاج أهمية القراءات الشاذة، بالإضافة إلي موقف أبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جني من الاستشهاد بالقراءات الشاذة، ووضع المصنفون من بعدهم مؤلفاتهم في خدمة القراءات الشاذة والانتصار لها، وبيان أوجه القوة فيها، والتنبيه علي أن شذوذها لا يخرجها من دائرة الاستشهاد بها، ولا يخرجها عن فصاحتها، بل إنها تعد أفصح من بعض الاختيارات المتواترة.

ونظرًا لأهمية هذا الموضوع؛ فقد تناولت مناقشته في محور رئيسي هو: لمحة تاريخية عن القراءات القرآنية (متواترها وشاذها).

لمحة تاريخية عن القراءات المتواترة

لقد اعتاد أرباب الصنعة العلمية الابتداء بالحديث عن "المعني المعجمي والمعني الاصطلاحي" للموضوعات محل الدراسة، وبما أن موضوع البحث ليس بحديث الفطام بين الباحثين والمنظرين لهذا الفن، فإنه لا حاجة لإعادة سوابق الحديث عن مفهوم القراءات في اللغة والاصطلاح، فقد تناولته الدراسات السابقة في هذا المجال بشكل شافٍ كافٍ، ولكن مهمتنا هي رؤية الخلفية التاريخية للقراءات سواء المتواترة أو الشاذة، وعلاقتهما بالدرس الصوتي، مرورا بالحديث عن كتب المصاحف وأهميتها.

تاريخ القرآن الكريم ودور القبائل العربية في بروز القراءات القرآنية:-

وهذا ما حدث عندما نزل القرآن الكريم علي الرسول ﷺ، فكان صلوات الله وسلامه عليه يتلو الآيات علي الصحابة فور نزولها، بنفس الترتيب آية آية، وسورة سورة، فكانوا يحفظونها ويتلونها في الصلوات، ومختلف العبادات مِراراً وتِكراراً، وتجردت منهم طائفة لكتابة القرآن الكريم في حياة الرسول ﷺ، وهم كتبة الوحي(١)، الذين أرصدهم لذلك، وكان الرسول ﷺ يَعرض ما معه من القرآن الكريم علي جبريل كل عام مرة، وفي آخر عام عرضه عليه مرتين(٢).

فكان الرسول ﷺ يتلو كلمات رب العزة بلهجات مختلفة؛ من باب التخفيف والتيسير علي القبائل، ومراعاة للهجاتها المختلفة، وكل فعل للنبي ﷺ من قول أو عمل، هو سنة متبعة باختلاف درجتها، فدأب بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- علي تلاوة بعض آيات -وربما كانت سورة- بلهجة سمعوها من الرسول ﷺ مشافهةً.

---

(١) وفي مقدمتهم عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وأنس ين مالك.

(٢) انظر:الحجة في علل القراءات السبع: لأبي علي الفارسي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: الشيخ/ عادل احمد عبد الموجود، الشيخ/ علي محمد معوض، د/ احمد عيسي حسن المعصراوي، ١/ ٤،[د-ت]، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

في حين أن البعض الآخر من الصحابة قد سمعوها من الرسول ﷺ بلهجة أخري غير الأولي[١]، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم: :"إن هذا القرآن أُنزل علي سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه"[٢]، وهذا من باب التيسير علي العرب؛ أن ينطقوا كلماته بلهجاتهم، ما لا يمكنهم أن ينطقوه بلغة قريش، ولهجتها الخاصة.

القراءات بعد وفاة الرسول ﷺ:-

ثم جاءت السنة الحادية عشرة للهجرة، وما إن توفي الرسول ﷺ، حتى بدأت ردة العرب عن الإسلام، فعزم أبو بكر الصديق ﷺ علي قتالهم، واستحر القتل في حروب الردة بالقراء لآي الذكر الحكيم، فما كان من عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق –رضي الله عنهما– إلا أن يعزما علي كتابة القرآن الكريم في مصحف

(١) وقد ذكر لنا التاريخ مواقف عدة من هذا النوع؛ علي نحو ما رُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ، أنه سمع هشام بن حكيم بن حزام القرشي يقرأ سورة الفرقان علي غير ما أقرأها له الرسول ﷺ، فأخذ بتلابيبه، حتى وقف به بين يدي الرسول ﷺ، وقص عليه الخبر، فلم ينكر الرسول ﷺ عليه ذلك. وفي هذا ما يؤكد سماعه من الرسول ﷺ، ويُظهر حرص الصحابة– رضوان الله عليهم– علي السماع من الرسول ﷺ.

(٢) ويقول ابن الجزري في النشر، ص٢٦:" ولازلت استشكل هذا الحديث، وأفكر فيه، وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة ، حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله، وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها، وشاذها، وضعيفها، ومنكرها؛ فإذا هو يرجع اختلافها إلي سبعة أوجه من الاختلاف، لا يخرج عنها، وذلك إما في الحركات بلا تغير في المعني والصورة: نحو (البخل) بأربعة، (ويحسب) بوجهين، أو بتغير في المعني فقط نحو: (فتلقي آدم من ربه كلمات). وادّكر بعد أمة، وامّهٍ، وإما في الحروف بتغير المعني لا الصورة نحو: (تبلوا، وتتلوا. وننحيك ببدنك)، أو عكس ذلك نحو: (بصطة وبسطة، والصراط والسراط)، أو بتغيرهما نحو: (أشد منكم ومنهم، ويأتل، ويتأل، وفأمضوا إلي ذكر الله)، وأما في التقديم والتأخير نحو: (فيقتلون، ويقتلون)، وجاءت سكرت الحق بالموت)، أو في الزيادة والنقصان نحو: (وأوصي ووصي، والذكر والأنثي)، فهذه سبعة أوجه، لا يخرج الاختلاف عنها، وأما نحو: اختلاف الإظهار، والإدغام، والروم، والإشمام، والتفخيم، والترقيق، والمد والقصر، والإمالة، والفتح، والتحقيق، والتسهيل، والإبدال، والنقل مما يعبر عنه بالأصول، فهذا ليس من الاختلاف، الذي يتنوع فيه اللفظ والمعني؛ لان هذه الصفات المتنوعة في أدائه؛ لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً، ولئن فرض فيكون من الأول.

واحد؛ خوفاً من ضياع القرآن الكريم بكثرة قتل القراء، وانتخبا لذلك الحفظة[١]، المشهود لهم بالإتقان[٢].

الأداء بعد كثرة الفتوحات الإسلامية ودور الصحابة:-

ويعتبر أداء الحفظة هو السبب الرئيسي في نشأة القراءات بصفة عامة، حيث مضي الناس يقرءون القرآن، ويُقرىء بعضُهم بعضاً بالحروف التي تلقوها عن الرسول ﷺ، أو عن الحفظة المتقنين من الصحابة. وكان هؤلاء الحفظة يختلفون في بعض الأداء، حسب سماعهم من الرسول ﷺ، ومع تفرق المسلمين في الأمصار بعد الفتوحات؛ أخذ هذا الاختلاف يشتد في الأداء.

إلي أن جاءت سنة ثلاثين من الهجرة، والتي وقع فيها غزو أذربيجان[٣]، وأرمينية[٤]، بواسطة الجموع الغفيرة من أهل الشام والعراق، واستمع بعضُهم إلي بعض، وهم يتلون الذكر الحكيم، فوجدوا اختلافاً بينهم في القراءة، وتنازعوا حتى

(١) أمثال زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة، وحذيفة بن اليمان، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو موسي الأشعري، فاجتمعوا برئاسة زيد بن ثابت، في دار عمر، يتشاورون في طريقة جمعه، ثم أخذوا يجتمعون في المسجد النبوي، وأحضروا كل ما كتبوه بين يدي الرسول ﷺ بإملائه، فعهدوا إلي بلال أن ينادي في المدينة بجمع القطع التي عليها قرآن مكتوب بمحضر الرسول ﷺ وإملائه.

(٢) وأمر أبو بكر زيداً أن يكتب القرآن كله، علي الترتيب الذي تلقاه هو ومَنْ معه من الحفظة عن الرسول ﷺ، بنفس الألفاظ، ونفس الحروف، ونفس الصورة في العَرْضَة الأخيرة، التي تدارس فيها الرسول ﷺ القرآن مع جبريل عليه السلام بعد تمامه. وظلت هذه الصُحف عند أبي بكر حتى وفاته، ثم عند عمر حتى وفاته، ثم عند حفصة أم المؤمنين- رضي الله عنهم.

(٣) وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء ومد آخرون الهمزة مع ذلك، وهي تلي الجبل من بلاد العراق، وتلي كور أرمينية من جهة المغرب،انظر: معجم البلدان ١/١٥٥ وما بعدها.

(٤) بكسر الهمزة وفتحها وسكون ثانيه، وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة، اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، وسيمت بأرمينيا من سلالة يافث بن نوح عليه السلام، انظر: معجم البلدان ١/١٩١.

كاد يكفر بعضهم بعضا[١]، فأمر عثمان بن عفانﷺ بعد نسخ الصحف التي كانت بحوزة السيدة حفصة رضي الله عنها، وكتابة ثمانية مصاحف للأمصار[٢]، أن تحرق ما عداها[٣].

وأول ما يتبادر إلي الذهن بعد تمام نسخ مصحف عثمان بن عفانﷺ، أنه لا وجود للقراءات، فقد اجمع المسلمون علي مصحف عثمان ﷺ، وألزموا أنفسهم به، وأحرقوا ما عداه من صحف. ومع حرق صحف الصحابة تكون اندثرت القراءات إلي الأبد، إذن كيف وصلت إلينا القراءات؟؟، وتم دراستها، والنظر فيها، من حيث متواترها، وشاذها، ومردودها؟!.

وللإجابة عن هذا السؤال، لابد من النظر في اتجاهين، أولهما: أساس تلاوة القرآن الكريم، هل كان يعتمد علي الصحف المكتوبة أم الرواية؟، وبالنظر في تاريخ كتابة القرآن وتدوينه، يتضح جلياً أن أساس التلاوة لم يتحول يوماً إلي الاعتماد علي المصحف المكتوب، بل ظل الاعتماد منذ وجود الرسول ﷺ علي الرواية بالسند الصحيح المتواتر عنه ﷺ، فالأساس دائماً هو الرواية عن الرسول ﷺ.

---

(١) ففزع لذلك الصحابة –رضوان الله عليهم–، وكان في مقدمتهم حذيفة بن اليمان، الذي أسرع إلي عثمان ابن عفان، يخبره باقتتال الناس، وخلافهم في القراءة، فهال عثمان الأمر، فأرسل للسيدة حفصة –رضي الله عنهما– أن أرسلي إلينا بصحف القرآن ننسخها، ثم نردها إليكِ، فأرسلتها إليه، فأمر زيد بن ثابت، وضم إليه عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن هشام أن ينسخها في المصاحف، انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٢٥٦/٣، ط(١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، مكتبة المعارف، لبنان، بيروت. وقد ذكر ابن جرير الطبري أن غزو اذربيجان وأرمينية كان في سنة أربع وعشرين من الهجرة.

(٢) وأمرهم إذا اختلفوا في شيء في القراءة فليكتبوه بلسان قريش؛ لأنه نزل بلسانهم، وأرسل أول هذه المصاحف إلي البصرة، والثاني إلي الكوفة، والثالث إلي الشام، والرابع إلي مكة، والخامس إلي اليمن، والسادس إلي البحرين، والسابع في المدينة، والثامن أمسكه لنفسه، وسماه بمصحف الإمام.

(٣) فحرقت مصاحف لبعض كبار الصحابة، كمصحف أُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود وحتى لا يدع فرصة لأي خلاف، وأمر المقرئين في كل الأمصار أن يتمسكوا بتلك المصاحف، وأن يقرئوا الناس علي حروفها.

وقد تلقاه شفوياً عنه صحابته، وعنهم تلقاه التابعون، وتوالي ذلك بالسند المتواتر جيلاً بعد جيل، ومعني ذلك أن قراءات القرآن الكريم سنة يتبع فيها الخالف السالف[١]، وثانيهما: شكل الكتابة في مصحف عثمان ابن عفان ﷺ، حيث إن الكتابة في مصحف عثمان بن عفان ﷺ تخلو من النقط والتشكيل[٢]، وهو خلو جعل خط المصحف العثماني يستوعب جميع القراءات المتواترة عن الرسول ﷺ.

وبذلك نكون استخلصنا أساسين أصليين في قبول القراءات، الأصل الأول: أن تكون مطابقة لخط المصحف العثماني، والأصل الثاني: أن تكون صحيحة السند، حملها رواة موثقون، حتى زمن القارئ، وكان علماء اللغة والعربية والنحو[٣]، يردون بعض القراءات المروية؛ لأنها لا توافق العربية، وهذا هو الأصل الثالث: موافقتها للعربية، ولو بوجه، أي وجه، فأي قراءة وافقت هذه الأصول قُبِلت، وما عداها رُفِضت.

وبمعرفة هذه الأصول الثلاثة، لقبول القراءة، يُصبِحُ عددُ القراءات المقبولة جَمًّا غفيراً، فهذا أبو عبيد القاسم بن سلام[٤] يقبل نحو ثلاثين قراءة، توسع فيها –

---

(١) انظر: مقدمة كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور/ شوقي ضيف، ص٨، [د–ت]، دار المعارف، مصر.

(٢) وليس معني هذا أن هذه القراءات هي مجرد تخمين أو اجتهاد، ناتج عن طبيعة خط المصحف العثماني، المجرد من الإعجام والتشكيل، وإنما هذه القراءات هي روايات متواترة عن الرسول ﷺ، وهي قديمة، بقدم سندها إلي الرسول ﷺ، والتاريخ قد حفظ لنا من الروايات، ما يؤكد ذلك، انظر: مقدمة كتاب السبعة في القراءات، شوقي ضيف، ص١٣، كمرجع سابق.

(٣) وعلي رأسهم: أَبُو عَلِي الفارِسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، ٢٨٨ – ٣٧٧ هـ = ٩٠٠ – ٩٨٧ م، في مؤلفه الحجة في علل القراءات القراءات السبع، بالإضافة إلي الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد) لأبي علي الفارسي ، طبعة دار المأمون ، تحقيق بدر الدين القهوجي ، وبشير جويجاتي، ويأتي تلميذه ابن جني(ت ٣٩٣هـ) في كتابه المحتسب في توجيه القراءات الشاذة، ليكمل عمل شيخه، حيث كان ينوي إعداد مؤلف للاحتجاج للقراءات الشاذة.

(٤) أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (١٥٠ – ٢٢٤هـ، ٧٦٧–٨٣٨م). فقيه محدّث ونحويّ على مذهب الكوفيين، ومن علماء القراءات. ولد بهراة، وكان أبوه عبدًا

فيما بعد- بعضُ القراء، حتى وصل بها إلي نحو خمسين قراءة[١]، فذكر ابن جني في صدر كتابه[٢]،أن القراءات علي ضربين: ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار[٣]، وضرب تعدَّي ذلك، فسمَّاه أهل زمانه شاذاً؛ أي خارجاً عن قراءة السبعة، إلا أنه مع خروجه عنها، نازع بالثقة إلي قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، فجعل ابن جني من شهرة القراءة، وكثرة أخذ القراء بها في الأمصار، ضابطاً للانتقاء من بين القراءات المقبولة[٤].

ـ لمحة تاريخية عن القراءات الشاذة:-

إذا كان قراءة القراء السبعة، بالإضافة إلي قراءة الثلاثة، الذين هم فوق السبعة؛ من القراءات المتواترة، فما زاد علي قراءة هؤلاء العشرة، يعد من القراءات الشاذة، فميلاد القراءات الشاذة، قرين القراءات المتواترة، فكان لابد من

روميًا لرجل من أهل هراة، انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، إمام مجتهد ومحدث فقيه ولغوي بارع: سائد بكداش، ص ٤٢-٤٦، ط(١٩٩١م)، دار القلم – دمشق.

(١) وبذلك أصبحت هذه الكثرة الغفيرة، تفتح باباً لدخول شيء من الاضطراب، علي قراء الأمة وعلمائها، لما لا تستطيع عقولهم استيعابه، من كثرة القراءات المقبولة، وكثرة الطرق والروايات وتَشَعُّبِها.

(٢) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، ورفاقه، ٣٢/١، ط(١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ووذكر ذلك القول الدكتور/شوقي ضيف محقق كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد في مقدمته للتحقيق، ص٢٠.

(٣) وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسي ابن مجاهد –رحمه الله- كتابه الموسوم بالسبعة.

(٤) وهو بذلك يصور معني الشذوذ عنده، وعند ابن مجاهد، فهما لا يَعْنِيَّا الضعف، إنما قلة القراء بتلك القراءة في الأمصار، بالقياس إلي قراءات السبعة، علي أن هذه القلة لا تعني عدم التواتر، فقد تداولها هي الأخرى أئمة ثقات، وقراء حفظة متقنون، بحيث أصبحت لها صفة التواتر، واعتمدها العلماء. والدليل علي ذلك أن ابن مجاهد في كتابه السبعة، اختار نافع مقريء المدينة، وترك قراءة أستاذه أبي جعفر يزيد ابن القعقاع، وكأن ابن مجاهد اكتفي بالتلميذ عن الأستاذ؛ لأن قراءته كانت أكثر شيوعاً علي ألسنة القراء بمصره. وكذلك في قراءة الحسن البصري، بالقياس إلي قراءة أبي عمرو بن العلاء، إمام القراء البصريين، والأمثلة علي هذا المنوال كثيرة جداً، وهذا واضح في تقديم قراءة بعض التلاميذ علي مشايخهم من القراء.

عرضها عرضًا تاريخيًا؛ لبيان أهميتها في إثراء الجوانب اللغوية، فهي بحق "أغني مأثورات التراث بالمادة اللغوية، التي تصلح أساسًا للدراسة الحديثة، والتي يلمح فيها المرء صورة تاريخ هذه اللغة الخالدة".(١)، ونظرًا لهذه الأهمية؛ فقد تم جمعها، إما مجموعة مع القراءات المتواترة(٢)، أو منفردة عنها(٣).

(*) والقراءات الثلاث المكملة للعشر هم: قراءة أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني(ت١٣٠ه)، تابعي وأحد القراء العشرة ، عرض القرآن الكريم على مولاه عبد الله بن عياش ، وعبد الله بن عباس وأبو هريرة ، هؤلاء الثلاثة قرؤا على أبي بن كعب، قال الإمام مالك بن أنس : كان أبو جعفر القارئ رجلا صالحا يفتي الناس بالمدينة المنورة ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : صادق الحديث ، وكان أبو جعفر إمام أهل المدينة في القراءة مع كمال الثقة وتمام الضبط ، وقراءة يعقوب بن اسحاق الحضرمي البصري(ت٢٠٥ه)، يكني بأبي محمد، قال عنه أبو حاتم السجستاني : "و أعلم من رأيت بالحروف واختلاف القراءات ومذاهبها ، وعللها ، ومذاهب النحاة ، وهو أروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء "، وقراءة ابن هشام البزار(٢٢٩ه) وهو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدي البغدادي البزاز ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، اختار لنفسه قراءة فكان أحد القراء العشرة ، حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين ، م روي عنه أنه قال : أشكل علي باب في النحو فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حفظته ووعيته ، قال ابن أشته : كان خلف يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه في مائة وعشرين حرفا في اختياره ، وقد تتبع ابن الجزري اختياره فلم يره يخرج عن قراءة الكوفيين ، بل ولا عن قراءة حمزة والكسائي وشعبة إلا في قوله تعالى (وحرام على قرية) فقرأ كحفص، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: الذهي، تحقيق: طيار آلتي قولاج، مج١، [د-ن]، استانبول، الطبعة الأولي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(١) انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، الدكتور/عبد الصبور شاهين، ص٨٠٧،[د-ط]، [د- ت]، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٢) من ذلك انظر" كتاب قطرب(ت٢٠٦هـ)، وكتاب أبي حاتم السجستاني(ت٢٥٥هـ)، وهما مفقودان، وقد أشار إليها ابن جني انظر: المحتسب٣٥/١، وانظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، للهذلي(ت٤٦٥هـ)(مخطوط)، وانظر: إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربعة عشر للقباقي(ت٨٤٩هـ)(محقق)وغيرها.

(٣) من ذلك مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه(ت٣٧٠هـ)، وفي شواذ القراءة للكرماني(ت٥٠٥هـ)، إعراب القراءات الشواذ للعكبري(ت٦١٦هـ)، والتقريب والبيان في معرفة شواذ القرآن للصفراوي(ت٦٣٦هـ) وغيرها.

معني الشذوذ فيما فوق القراءات العشر:-

الشذوذ في القراءات القرآنية، ليس راجعًا إلي القراءة ذاتها، وإنما إلي الرواية والسند، وإن كان الشاذ يطلق في الاستعمال اللغوي، ويراد به مخالفة القياس، أو المشهور، فإن كثيرًا مما شذت روايته، له حججه القوية، من الفصاحة والبيان، وكثيرًا منه أيضًا-كما ذكر ابن جني-" مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه، وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنف بغيره فصاحته، وتمطوه قوي أسبابه، وترسو به قدم إعرابه" (١).

ويتضح في تقسيم القراءات من حيث تواتر السند وعدمه، إلي قراءة متواترة، ومشهورة، وآحاد، وشاذة، وموضوعة، وتفسيرية، التأثر بمصطلح علم الحديث، وهذه الاصطلاحات في القراءات للمتأخرين، لم يعرفها سلف الأمة، وإنما الذي أدي إلي ذلك؛ بحث الفقهاء، وعلماء الأصول، فيما يعد قرآنًا وما لا يعد(٢).

بداية تشذيذ القراءات:-

وتعد العرضة الأخيرة، هي البداية الحقيقية؛ لتشذيذ القراءات(٣)، فكل ما لم يثبت في العرضة الأخيرة، عُدَّ شاذًا، لا يعوَّل عليه؛ لأنه عُدَّ منسوخًا. ثم ما كان

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، ورفاقه، ٣٢/١، ط(١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

(٢) القراءات الشاذة دراسة لنشأتها ومعاييرها، أ.د/سامي عبد الفتاح هلال، ص١٨، ط(٢٠٠٠م) .

(٣) مال إلي القول بذلك الأستاذ الدكتور/ سامي هلال في كتابه "القراءات الشاذة "، ص١١٩، في في حين ذهب دكتور/ غانم قدوري الحمد في كتابه "رسم المصحف دراسة لغوية وتاريخية"، ص٦٥٦، إلي أن بداية الشذوذ، كانت من الرسم العثماني. ومال إلي هذا الرأي دكتور/ توفيق بن أحمد العبقري، في كتابه " الرسم القرآني ضابط من ضوابط القراءة الصحيحة"، ص١١٩، ط(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، وذهب دكتور/ محمد أحمد الصغير، في كتابه " القراءة الشاذة وتوجيهها النحوي"، ص٣٣، إلي أن بداية الشذوذ كانت من الجمع البكري، وما ذهب إليه الأستاذ الدكتور/ سامي عيد الفتاح هلال، أرجح وأقرب إلي الصواب.

من أبي بكر الصديقﷺ في الجمع الأول للقرآن؛ بسبب موت كثير من القراء في حرب اليمامة، يُعدُّ هو المرحلة الثانية، من مراحل تشذيذ القراءات، فكل ما خرج علي المنهج الذي التزم به زيد بن ثابتﷺ(*) ومن معه، عُدَّ شاذًا (١).

وتأتي المرحلة الثالثة، من مراحل تشذيذ القراءات، في الجمع الثاني للقرآن الكريم، والذي تمَّ بأمر من عثمان بن عفانﷺ خشية تفرق المسلمين، بعد اختلافهم الشديد(٢)علي كتاب الله عز وجل، في فتح أذربيجان، وأرمينية، وكل ما خرج عن

(*)هو : زيد بن ثابت بن الضّحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة، من المدينة النبوية، يوم قدم رسول الله المدينة كان يتيماً فوالده توفي يوم بعاث وعُمره كانَ لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، وأسلم مع أهله، كان يتابع وحي القرآن حفظا، وكان الرسول كل مانزل الوحي عليه، بعث إلى زيد فكتبه، قال عنه النبي صلي الله عليه وسلم:"أفرض أمتي زيد بن ثابت"، توفي زيد بن ثابت سنة ٤٥ هـ في عهد معاوية. وعند موته قال بن عباس :"لقد دفن اليوم علم كثير"، وقال أبو هريرة : مات حبر الأمة ، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا، انظر ترجمته في: سيرأعلام النبلاء، ١٢٣/٢، وانظر: زيد بن ثابت(كاتب الوحي وجامع القرآن): صفوان عدنان داوودي، ط(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، دار القلم –دمشق، وكان من منهج زيد بن ثابت الذي اتبعه الاشهاد علي سماع الآية من النبي صلي الله عليه وسلم، وعدم قبول خبر الآحاد، كما حدث في آية الرجم:" لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم" مع عمر بن الخطاب، انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة(ت٤١٠هـ)، ص١٣٤، ط[د- ت]، مكتبة المتنبي، القاهرة. وهذه الآية منسوخة الخط فقط، أما حكمها فباق، وعدم قبول زيد لها؛ لأنها جاءت بخبر الواحد، وهو عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–؛ فلعله لم يكن يعلم بنسخها في العرضة الأخيرة، فعدم قبولها إذًا، لكونها منسوخة، ولأنها بخبر الواحد، قال السيوطي:" وإن عمر أتي بآية الرجم، فلم يكتبها (أي زيد)؛ لأنه كان وحده"، الإتقان في علوم القرآن،للسيوطي

(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل المتوفى ٩١١هـ)، ٧٨/١، ط(١٤٢٦ه/٢٠٠٥م)، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، دكتور/فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص٨١، ط٧(١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، مكتبة التوبة، السعودية، الرياض.

(٢) انظر: المصاحف لابن أبي داود، ص١٨-١٩، وانظر: الإنابة، ص٢٧، وانظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول صل الله عليه وسلم، للقاضي أبي بكر بن العربي، حققه وعلق عليه/ محب أكبر بن الخطيب، ص٥٧، ط(١٣٩٠هـ/١٩٧١م)،

المقاييس التي التزم بها عثمان بن عفانﷺ في مصحفه، عُدَّ شاذًا. وقد ذكر ابن عطية[١] تلك المقاييس، وهي: الأخذ بأشهر الروايات، والاعتماد علي أفصح اللغات، وكتابة المصحف برسم معين.

ومع هذه المقاييس، إلا أن قراءات كثيرة خرجت عن هذه الشروط، قال الدكتور/محمود أحمد الصغير:

"بقي خارج حدود مصحف عثمانﷺ عدد من الحروف، التي تتميز عما في نسخه، بالزيادة كقراءة ابن مسعودﷺ:"ولقد أرسلنا نوحًا إلي قومه فقال يا قوم إني لكم نذير مبين"[٢]، بزيادة "فقال يا قوم"[٣]، أو بالنقصان، كترك (علي) قراءة ابن عباسﷺ [٤] "يا حسرة العباد".[٥]

أو باختلاف لفظه، كقراءة ابن مسعودﷺ:"ولا تنقصوه"[٦]بدل (ولا تضرونه)[٧]، أو أكثر من لفظة كقراءة أنس بن مالك:" ولا تقربوا النساء في المحيض واعتزلوهن حتى يتطهرن"[٨]، وقد يكون الاختلاف طفيفًا لا يتجاوز

والمحرر الوجيز، ٤٧/١، والجمان في علوم القرآن، دكتور/ محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ص٩٥، ط(ض٤١٦هـ/١٩٩٦م)، مؤسسة الرسالة، ودار البشير، بيروت.

(١) انظر:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية(أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى: ٥٤٢هـ)، عبد السلام عبد الشافي محمد، ٤٧/١، ط(١٤٢٢هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) القراءة المتواترة بدون زيادة(فقال يا قوم)، سورة هود، آية ٢٥.

(٣) انظر: المصاحف لابن أبي داود، ص٧٣، ط(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) انظر: المصاحف، مرجع سابق، ص٨٥.

(٥) القراءة المتواترة بزيادة لفظ "علي"، سورة يس، آية ٣٠.

(٦) انظر: المصاحف، مرجع سابق، ص٧٣.

(٧) سورة هود، آية ٥٧.

(٨) القراءة المتواترة (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ)، سورة البقرة، آية ٢٢٢.

حرفًا واحدًا، كقراءة أُبي:" فشربوا منه إلا قليلٌ"(١)، برفع "قليل" وتنوينها، وهي في نسخ عثمانﷺ:"إلا قليلًا"(٢).

لقد جاء معظم هذه الحروف في مصحف ابن مسعودﷺ؛ لعدم شهوده العرضة الأخيرة، وفي مصحف أُبي بن كعبﷺ الذي لم يشأ -كما تذكر المصادر- أن يتخلي عما سمعه بنفسه من الرسولﷺ (٣)، كما جاء بعضها في مصاحف الصحابة الآخرين-رضوان الله عليهم جميعا-، الذين عُنُوا أحيانًا بتفسير بعض الألفاظ أو الأحكام، وأثبتوا ذلك كتابة(٤).

أهمية القراءات الشاذة:-

وهي القراءة التي اختل ركنًا هامًا من أركانها(٥)، ولكن هذا لم ينأ بها عن دائرة الاستفادة منها، بل تعتبر رافدا من روافد علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة، وتتضح هذه الأهمية في المؤلفات العلمية، على اختلاف تخصصاتها: فكتب التفسير تهتم بالشواذ جل اهتمام، وتنقل الكثير منها، وتوجهها، وتفيد في شرح المعاني، وترجيح الآراء، وكتب معاني القرآن وإعرابه تهتم كثيرا بالشواذ (٦).

---

(١) انظر: مختصر في شواذ القرآن، ص٢٢.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٤٩.

(٣) قال مكي بن أبي طالب في ذلك الفعل من أبي بن كعب وغيره من الصحابة: "تمادي بعض الناس علي القراءة بما يخالف خط المصحف، مما ثبت نقله، وليس ذلك بجيد، ولا صواب؛ لأن فيه مخالفة الجماعة، وفيه أخذ القرآن بأخبار الآحاد، وذلك غير جائز عند أحد من الناس"، الإبانة عن معاني القراءات لمكي، ص١٠.

(٤) انظر: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، الدكتور/محمود أحمد الصغير، ص٣٤-٣٥، ط(١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق.

(٥) أركان القراءة الصحيحة: موافقة العربية ولو بوجه، موافقة رسم المصحف العثماني ولو خطًا، التواتر وصحة السند، الذيوع والانتشار، وهذا الاخير الذي اضافه ابن جني.

(٦) انظر: القراءات الشاذة أحكامها وآثارها، الدكتور إدريس حامد محمد، ص٦، ط(٢٠٠م)، مركز بحوث كلية التربية، جامعة الملك سعود،.

كما أن كتب الفقهاء مليئة بها حيث إن وجودها أدى إلى اختلافهم في الاحتجاج بها، وإن لم يقبلوها على أنها قرآن، وإنما قبلوها على أنها أخبار أو تفسير للقراءة، أما كتب اللغة والنحو فاهتمامها بالقراءات الشاذة اهتمام كبير؛ يقول محمد عضيمة: "القرآن الكريم حجة في العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة، كما هو حجة في الشريعة، فالقراءة الشاذة التي فقدت شرط التواتر، لا تقل شأنا عن أوثق ما نقل إلينا، من ألفاظ اللغة وأساليبها، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يكتفي فيه برواية الآحاد" (١).

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، ٢/١، ط(١٩٤٢م)، دار الحديث، القاهرة.

مصادر ومراجع البحث

أولًا: المصادر:

*** أبو بكر(القاضي بن العربي المالكي):**

– العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول صل الله عليه وسلم، حققه وعلق عليه: محب الدين الخطيب، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

*** أبو علي الفارسي(الحسن بن أحمد بن عبد الغفار):**

– الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق: أحمد عيسي حسن المعصراوي، وآخرون، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، [د–ت].

*** ابن أبي داود (أبو بكر عبد الله بن سليمان الأشعث السجستاني):**

– المصاحف، ج١٨، صححه ووقف علي علي طبعه: آثر جفري، المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولي، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

*** ابن الجزري(أبو خير محمد بن محمد الدمشقي):**

– النشر في القراءات العشر، أشرف علي تصحيحه: علي محمد الضباع، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، [د–ت].

*** ابن جني(أبو الفتح عثمان):**

– المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، ورفاقه، ج١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

*** ابن خالويه(أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان):**

– مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة، [د–ت].

*** ابن عطية(أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي):**

–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج٦، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولي، ١٤٢٢ه.

*** ابن كثير(أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي):**

- البداية والنهاية، ج٣، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، الطبعة الأولي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

*** ابن مجاهد(أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي):**

- مقدمة كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، [د-ت].

*** الذهبي(محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله):**

- سير أعلام النبلاء، حققه واعتني به: حسان عبد المنان، ج٢، ج١٥، بيت الأفكار الدولية، لبنان، الطبعة الأولي، ٢٠٠٤م.

- معرفة كبار القراء، تحقيق: طيار آلتي قولاج، مج١، [د-ن]، استانبول، الطبعة الأولي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

*** السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل المتوفى ٩١١هـ):**

- الإتقان في علوم القرآن، ج١، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولي، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.

*** للقباقي(أبو بكر محمد بن خليل):**

- إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أحمد خالد شكري، دار عمّار، عمّان ، الطبعة الأولي ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣.

*** الهذلي(أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة):**

- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال بن السيد بن الرفاعي الشايب، مؤسسة سما، الطبعة الأولي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

*** غلام ثعلب(محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد):**

- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، تحقيق: محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

*** مكي (بن أبي طالب حموش القيسي):**

- الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولي، [د-ت].

ثانيًا: المراجع الحديثة:

*** إبراهيم رفيدة (دكتور):**

– النحو وكتب التفسير، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والأعلام، ليبيا، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.

*** إدريس حامد محمد (دكتور):**

– القراءات الشاذة أحكامها وآثارها، مركز بحوث كلية التربية، جامعة الملك سعود، [د–ن]، الطبعة الأولي، ٢٠٠٠م.

*** سامي عبد الفتاح هلال (دكتور):**

– القراءات الشاذة دراسة لنشأتها ومعاييرها، [د–ن]، الطبعة الأولي، ٢٠٠٠م.

*** صفوان عدنان داوودي:**

– زيد بن ثابت، كاتب الوحي وجامع القرآن، دار القلم –دمشق، الطبعة الأولي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.